بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يبرز هذا البحث مادة (السفاهة) وما تحمله من دلالات وتنوع في سياقاتها المختلفة في القرآن الكريم .

وقد جاء البحث بمقدمة اشتملت على أسباب اختياري للموضوع ومنهج البحث وخطته.

وتمهيد اشتمل على معني السفه ، والآيات محل الدراسة .

ومبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعبير عن السفاهة في سياقات العقيدة .

المبحث الثاني: التعبير عن السفاهة في سياقات المعاملات المالية والرزق.

ثم الخاتمة فذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها، ويليها ثبت للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات .

الكلمات المفتاحية: السفاهة، سوء التصرف، البلاغة، النظم القرآني السياق القرآني.

وصلي الله على سيدنا محمد –ﷺ– معلم الناس الخير .

Abstract:

This study delves into the theme of ‘foolishness’ and its diverse implications within the different contexts of the Ever-Glorious Qur’an. It commences with an introduction that outlines the rationale for selecting this subject, the research methodology, and its plan. Then, a preface is provided to explore the meaning of ‘foolishness’ and identify the relevant Qur’anic verses for the study. The research is structured into the following sections: Section One: Foolishness of opinion and triviality of thought. It comprises two subsections. Section Two: Poor financial behavior and wealth preservation. It comprises two subsections. Section Three: Intellectual deficiencies resulting from foolishness, ignorance, and unfounded lies. It comprises five subsections. The conclusion summarizes the key findings, and the research ends with a list of sources and references, and a topic index. May Allah bless our Prophet Muhammad, the teacher of humanity.

Keywords: Foolishness, Misconduct, rhetoric, Quranic systems, Quranic Context

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن بفضله ورحمته ليكون نورًا وضياءً وهدايةً للخلق، تسكن إليه النفوس وتطمئن به القلوب، والصلاة والسلام على خير البرية مخرج الناس من الظلمات إلى النور وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم محسنًا إلي يوم الدين أمَّا بعد ،

فمن مقتضيات البلاغة العربية أن تكون الكلمة في سياقها مختارة اختيارًا دقيقًا بحيث تكون ملائمة لمقامها كاشفة عن غرضها.

وما عرفت بلاغات البشر بلاغة أعلى قدرًا من البلاغة القرآنية التي استعملت فيها الكلمات واختيرت فيها الألفاظ اختيارًا أنيقًا محكمًا لا يُستطاع معه وضع كلمة موضع أخرى ، أو تغيير لفظ بأخيه .

ولفظة السفاهة في القرآن الكريم وردت في سياقات متنوعة ، ومقامات مختلفة ، كما تعدد اشتقاقها، ولا شك في أن هذا التنوع والاختلاف وراءه من البلاغة العالية ما يستحق الكشف ويقتضي البحث ؛ لأجل ذلك عقدت العزم على دراسة هذه المادة في القرآن الكريم ؛ لأقف على أسرارها البلاغية المختلفة، وقد وردت في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة ، حيث وردت بصيغة اسم الجمع (السفهاء) في خمسة مواضع على الترتيب ثلاثة في سورة البقرة، وواحدة في سورة النساء، وواحدة في الأعراف. ووردت فعلًا ماضيًا وصفة ومصدرًا واسمًا مفردًا(سفه وسفيهًا وسفهًا سفاهة وسفيهنا) في موضع واحد على الترتيب في سور(البقرة- الأنعام- الأعراف – الجن) كما سيأتي عند عرض الآيات الكريمة وهذا مما يدعو للتأمل في التنقيب والتناسب بين اللفظة ومدى ملائمتها للمقام .

وبعد البحث لم أجد دراسة فيما أعلم تطرقت لهذه المادة وبينت أثرها في السياق .

ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان (خصائص النظم القرآني في التعبير عن السفاهة).

إشكالية البحث :

١- الكشف عن أثر تنوع الصيغ التي وردت فيها اللفظة بين اسم وفعل ومصدر وجمع.

٢- التعليل لتنوع مقامات السفاهة في القرآن الكريم .

٣- معرفة دور الخصائص البلاغية في الكشف عن صفات السفهاء.

وقد سرت في هذا البحث وفق المنهج التحليلي البلاغي الإحصائي الذي يكشف عن علاقة اللفظة بسياقاتها المتنوعة ، وجمع الآيات التي تتحدث عن غرض واحد تحت محور جامع .

وقد اقتضت خطة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة المقدمة ذكرت فيها أسباب

اختياري للموضوع ومنهج البحث وخطته.

وأما التمهيد فبينت معني السفه ، وذكرت الآيات محل الدراسة .

أما المباحث فجاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعبير عن السفاهة في سياقات العقيدة .

المبحث الثاني: التعبير عن السفاهة في سياقات المعاملات المالية والرزق.

ثم جاءت الخاتمة فذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها، يليها ثبت للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات .

وبعد فقد بذلت جهدًا في بحثي هذا فإذا وفقت فهذا ما سعيت لتحقيقه وإن كان غير ذلك فأستغفر الله عما زل به القلم من اجتهاد أو تحميل الآية ما لا تحتمل ويبقى النقص ملازمًا للبشر .

التمهيد

السفَهُ في اللغة: جمع سفيه، وهو مشتقّ من السَّفَه والسَّفاهُ والسّفاهةُ: نقيضُ الحِلْم. وسَفِهتَ أحلامُهم. وسَفُهَ الرَّجلُ: صار سفيهاً. وسَفُه حلمه، ورأيه ونفسه، إذا حملها على أمرٍ خطأ[١].

والسَفَهُ: ضد الحلم، ويقال: ثوب سفيهُ، إذا كان رديء النسج، وتسفهت الريحُ الغصون :حرّكتها واستخفتها ومالت بها.

وتسفهت الشيء (إذا استصغرته واستحقرتهُ، وتسفهت فلاناً عن ماله إذا خدعته كَأَنَّكَ مِلْتَ بِهِ عَنْهُ ، يقول مزرد بن ضرار الذبياني:

تَسَفَّهْتَهُ عَنْ مَالِهِ إِذْ رَأَيْتَهُ ... غُلَامًا كَغُصْنِ الْبَانَةِ الْمُتَغَايِدِ[٢]

ويقال: إن السَّفه أن يكثر الرجل من شرب الماء فلم تَرْوا(استمر شعوره بفراغ جوفه من الماء)، وسافهت الناقة الطريق: لازمتهُ لا تبالي به[٣].

ويقول جرير[٤]:

وَرَجَا الأُخَيْطِلُ من سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ما لم يكن وأبٌ له لِيَنَالَا

والسفاهة:ضعف الرأي ، ورجل سفيه: خفيف العقل فارغه، كأنما أُفرغ رأسه من العقل، وأصل الفعل(سَفُه) بضم العين يأتي مصدره على "فَعالَة" "غالبًا"، نحو: كَرُمَ كَرَامة، وسَفُهَ سَفاهة[٥].

وقال كليبٍ الفقعسي[٦]:

تبغي ابن كوزٍ والسفاهة كاسمها ليسْتَاد مِنا أنْ شَتَونَا لياليا

---

[١] العين ٤/ ٩.

[٢] المفضليات ت: المفضل الضبي (ت: نحو ١٦٨هـ) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون: دار المعارف – القاهرة، ط ٦، ١/ ٧٨ .

[٣] مجمل اللغة لابن فارس ١/ ٤٦٤ ، مقاييس اللغة ٣/ ٧٩، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/ محمد حسن جبل – مكتبة الآداب، ط الأولي، ٢٠١٠م، ٢٠٢٩.

[٤] جمهرة أشعار العرب ت: أبو زيد القرشي (ت: ١٧٠هـ) تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع١/ ٧١٦ ، والكامل في اللغة والأدب ت: للمبرد(ت: ٢٨٥هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي– القاهرة ط: ٣ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ١ / ٢٥٤.

[٥] شرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي (ت: ٧١٥هـ) تح: د/عبد المقصود محمد عبد المقصود: مكتبة الثقافة الدينية ط: الأولي ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م، ١/ ٢٩٧ .

[٦] شرح ديوان الحماسة ت: أبو على المرزوقي الأصفهاني (ت: ٤٢١هـ) تح: غريد الشيخ دار الكتب العلمية، بيروت ١/ ١٧٦.

وقال مُزرِّد بن ضرار الذبياني[١]:

أَلاَ يا لقَوْمِ والسَّفَاهةُ كَاسْمِها أَعائِدَتي مِن حُبِّ سلمى عوائدي

وإنما قال هذا ؛ لأن السفه كما تنكر العقول والقلوب ذاته وفعله، كذلك تمج الآذان والصدور اسمه، فإن قيل: ما اسم السفاهة حتى قال: والسفاهة كاسمها؟.

فحروف كلمة (سفه) تدور حول الخفة والفراغ ، فـ(السين) صوت زائد من بين الشفتين يصحبها عند خروجها، و(الفاء) شفوي أسناني يحدث بالتقاء الشفة السفلي بأطراف الثنايا العليا ، مهموس ، رخو(احتكاكي) منفتح ، مستفل ، مرقق و(الهاء) صوت حنجري مجهوري ، رخو، منفتح ، مستفل، مرقق.

والسفيه في الاصطلاح: هو من يسرف في إنفاق ماله، ويضيعه على خلاف مقتضى العقل أو الشرع فيما لا مصلحة له فيه، وباعثه خفة تعتري الإنسان من الفرح والغضب، فتحمله على الإنفاق من غير ملاحظة النفع الدنيوي والديني.

وبعد تلك الجولة في كتب اللغة حول مادة (السَّفه) تبين أنها تدور حول الخفة الاضطراب والطيش والسخافة والجهل ، وفراغ العقل ، والجفاء ، وسوء التصرف .

وقد وردت كلمة (السَّفاهة) ومشتقاتها أحدى عشرة مرة في نظم القرآن الكريم، تصدرت سورة البقرة النصيب الأكبر، حيث حظيت بأربعة مواضع، وهي سورة مدنية تناولت أصناف الناس الثلاثة(المؤمن– المنافق– الكافر) .

وجاءت في المرتبة الثانية سورة الأعراف وهي (مكية) حيث حظيت بموضعين مع نبي الله (موسي وهود عليهما السلام في حوارهما مع أقوامهما) .

وجاء في المرتبة الثالثة بقية المواضع، حيث حظيت سورة النساء وهي (مدنية)، وسورتا الأنعام والجن وهما(مكيتان) بموضع واحد كما سيتضح بإذن الله تعالي.

****

[١] المفضليات ١/٧٥.

المبحث الأول : التعبير عن السفاهة في سياقات العقيدة

المطلب الأول: الاستخفاف بالمؤمنين

يقول الله تعالي: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣).

وردت الآية في سورة البقرة وهي(مدنية) بلا خلاف بين العلماء، وهي أطول سورة في القرآن الكريم، وتعني بالجانب التشريعي شأنها شأن السور التي نزلت بالمدينة، كما أنها اشتملت على مسائل العقيدة والتوحيد، ومعالجة النظم والقوانين الاجتماعية والتشريعية التي يحتاج إليها الناس في حياتهم، وعالجت أصناف الناس الثلاثة(المؤمن والكافر والمنافق)، حيث اختلط المسلمون بغيرهم من الكفار والمنافقين، فكان لا بد من توضيح أفكارهم وكشف نواياهم تجاه الموحدين المخلصين.

والآية تتحدث عن صنفين من الناس(الكافر والمنافق)في استخفافهم بأمر الدين واتباع الرسول الكريم، وذلك لخفة عقولهم وحمقهم.

والمعني في الآية: صدقوا بمحمد -ﷺ- وشرعه مثل ما صدقه المهاجرون وأهل يثرب، فقالوا: أنكون كالذين خفت عقولهم؟ يقصدون أهل الإيمان من أتباع سيدنا محمد -ﷺ-.

والحديث عن الذين كفروا- وهم- هنا- المنافقون، وقد بدأ الحديث عن أوصافهم من قوله تعالي: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾البقرة: ٨.

يلحظ أن المعني المحوري الذي تدور حوله السفاهة في الآية الكريمة هو الاستخفاف بأمر المؤمنين والتشكيك في عقيدتهم .

وبُني الفعل في(قيل) لما لم يسم فاعله؛ لبيان أن هذا الموقف الرافض للإيمان هو الموقف الدائم للمنافقين، سواء دعاهم الرسول-ﷺ- أو دعاهم غيره، فهؤلاء المنافقون يقفون في جميع الأوقات رافضين للحق، متبعين خطوات الشيطان، ومن دواعي الحذف أيضًا هو إثبات وبيان موقفهم من الدعوة للإيمان[1] .

وحذف الفاعل هنا اقتضته البلاغة القرآنية؛ لأن الغرض هو التركيز على وصول الدعوة إليهم سواء كان دعوتهم إلى الإيمان من الرسول -ﷺ- أو من المسلمين.

فذكر الفاعل في هذه الحالة يؤدي إلى ارتخاء النظم ويعوق الوصول إلى فكرة السياق .

ثم لمّا كان هدف السياق هو الكشف عن سفاهة هؤلاء كان لحذف الفاعل إسهام كبير في هذا الكشف ؛ لأن عدم ذكر الفاعل يفتح الباب في أن يكون الدعاة لهم إلى الإيمان كُثرا، مما يستلزم

---

[1] التفسير البلاغي للإستفهام في القرآن الكريم د/ عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة ط٣١٤٣٢-٢٠١١، جـ١/٣٧.

أن عدم استجابتهم إلى كثرة الدعاة الناصحين سفاهة وأي سفاهة.

ويتفق ابن عطيه والواحدي على أن قولهم هذا كان فيما بينهم لا عند المؤمنين حيث كانوا يقولونه في خفاء فأطلع الله عليه نبيه -ﷺ- والمؤمنين[١]، فكشف القرآن الكريم عن خبث وحقد هؤلاء المفسدين والتنقيب عن سوء فعالهم وفساد عقولهم .

والكاف في قوله: (كَمَآ ءَامَنَ) للتشبيه أو للتعليل، وذكر أبو حيان أن التشبيه هنا إشارة إلى الإخلاص، وإلافهم ناطقون بكلمتي الشهادة غير معتقديها، ولما كان المأمور به مشبهًا كان جوابهم مشبهًا في قولهم: (كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ) [٢]، و(الناس) هنا إشارة إلى الجنس: أي الكاملون في الإنسانية، أو للعهد أي كما آمن رسول الله -ﷺ- ومن معه، أو كعبد الله بن سلام وأضرابه .

فجاء جوابهم مجملًا (قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ) وهو مناسب لتسجيل جرائمهم التي ارتكبوها، وإلصاق جريمتهم ومواجهتهم بها.

والقيل والقول من شبه كمال الاتصال الذي يثير المحاورة وفيه غريزة لحب الاستطلاع في محاولة لكشف نواياهم وإبراز ما في ضمائرهم التي كشفها القرآن الكريم وهو طريق من طرق الإيجاز وهو الاستئناف البياني الذي فصّل الإمام عبد القاهر القول فيه [٣].

"والاستفهام للإنكار، قصدوا به التبرؤ من الإيمان على أبلغ وجه، وجعلوا الإيمان المتبرأ منه شبيهًا بإيمان السفهاء، تشنيعًا له، وتعريضًا بالمسلمين"[٤] .

ومقصود الطاهر في قوله: "على أبلغ وجه" إحكام الحِيلة التي ردوا بها على الداعي للإيمان، وهذه طبيعة المنافقين في تزيين أعذارهم، والحِيلة التي سلكوها هنا أنهم لم يُظهروا إنكارهم للإيمان

---

[١] الوسيط في تفسير القرآن المجيد ت: النيسابوري(ت: ٤٦٨هـ) تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون قدمه: أد/ عبد الحي الفرماوي: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م،١ / ٨٩، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) تح: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ، ١/ ٩٤.

[٢] البحر المحيط في التفسير ت: أبو حيان محمد الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ، ١/ ١١١.

[٣] يراجع دلائل الإعجاز أ/ محمود شاكر، مطبعة المدني، ط٣ / ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، ٢٣١-٢٣٣، وعدَّه العلامة ابن الأثير والعلوي وجها من وجوه الإيجاز فيما يعرف بالاستئناف البياني بإعادة الأسماء والصفات أو بغير إعادتها" يراجع: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ) تح: د/أحمد الحوفي، ود/ بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة ٢/٢٢١.

[٤] التحرير والتنوير ١/ ٢٨٧.

المطلق، وإنما ضمنوا ردَّهم أن الذي يزهدهم في الإيمان إليه الداعي أنه إيمان سفهاء، فكأنهم قالوا: نحن لا نرفض الإيمان لأنه إيمان، بل نرفض الإيمان الذي نشأ عن السفه وعدم التمييز .

الباعث على الاستفهام

لوحظ أن وراء الاستفهام باعثًا يتعلق بهذا المعني البلاغي ويتفاوت خفاء وظهورًا بحسب التأمل في حال المستفهم والصياغة المحيطة بالاستفهام، فالباعث في هذه الآية الكريمة الاستهزاء والاستخفاف بأمر المسلمين، وهم في نظر المنافقين ضعفاء سفهاء والباطل لا يقبله إلا السفيه [١].

والكاف في(كما آمن) للتشبيه والتعليل كالأولي، واللام في(السفهاء) مشاربها إلى الناس فهي للعهد أي: كما آمن رسول الله- ﷺ – ومن معه، أو هم ناس معهودون كعبد الله بن سلام وأشياعه؛ لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم، أو للجنس: كما آمن الكاملون في الإنسانية، أو جعل المؤمنين كأنهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل[٢].

ويثير العلامة الزمخشري تساؤلًا فإن قلت: لم سفهوهم واستركوا عقولهم، وهم العقلاء المراجيح؟ قال: لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم، اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل، ومن ركب متن الباطل كان سفيهًا، ولأنهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار، وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخبَّاب فدعوهم سفهاء تحقيرًا لشأنهم" [٣].

وقولهم: (كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ) إثبات منهم في دعواهم بسفه المؤمنين أنهم موصوفون بضد السفه، وهو رزانة الأحلام ورجحان العقول[٤] .

وهذا التعريض يفيد أن المنافقين أرجح عقلاً، وأحسن حالًا – في اعتقادهم – من المؤمنين.

تكفل ربنا جل وعلا في الردّ على سفه عقولهم

جاء الردُّ في صورة التوكيد الخبري للكشف عن خبايا نفوسهم والتنبيه على خطرهم بتعدد ألوان التوكيد عن طريق أسلوب التنبيه، فصدَّر بأداة الاستفتاح والتنبيه والتي لا تكون إلا في أمر مهم لما يأتي بعدها من كلام، وهى مؤذنة بالتنبيه للخبر والتأكيد مع اسمية الجملة (إنهم) حيث لا يدع مجالًا للشك والتخمين.

والقصر الإضافي مع ضمير الفصل وتعريف الطرفين(هم السفهاء) ليدل على أن السفاهة مقصورة

---

[١] الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية د/ محمد إبراهيم شادي دار اليقين- المنصورة ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م ط١/١٣٧.

[٢] الكشاف ١/ ٦٤.

[٣] السابق ١/ ٦٤.

[٤] البحر المحيط ١/١١١.

عليهم لا محالة دون المؤمنين فهو قصر قلب، كما أنَّ التصريح بذكرهم(السفهاء)؛ لبيان حقيقتهم وافترائهم على المؤمنين صادقي الإيمان والمخلصين حقًا .

وفي هذا تأكيد على خطر هذين الصنفين من الكافرين أو المنافقين؛ حيث الإفساد في الأرض، وتشكيك المؤمنين في عقيدتهم، وهذا مما يؤثر على المجتمعات، ويقتضي فساد الضمائر والنوايا، فجاء التوكيد في أبلغ صوره؛ ليكشف عن أسرار النفس البشرية العميقة، وتحذير المجتمع من ضررهم وفساد عقولهم.

وتختتم الآية الكريمة بنفي العلم عنهم؛ ليناسب حالهم من الجهل والحمق وماهم عليه من السفه، حيث بيَّن غرورهم وانخداعهم بأنفسهم، فهم يظنون أنهم فوق الناس، وهم أحقر الناس اعتقادًا وسلوكًا.

ويقف الزمخشري وقفة متأنية عند الفصل هنا بقوله:(لا يعلمون) وقبلها بقوله:(لا يشعرون)، قلت: لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى إمعان فكر ونظر واستدلال، ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم أحسن طباقًا له، أمَّا المثبت هناك(الشعور) وهو أمر محسوس؛ لأن المثبت لهم هناك الإفساد وهو مما يدرك بأدني تأمل[١] .

كما أن في حذف مفعول(يعلمون) مزية بلاغية ليوافق رؤوس الآيات قبلها وبعدها، وقصدًا للتعميم فهم لا يعلمون أي نوع من أنواع العلم، وهذا يزيد في حقارتهم وبشاعة قولهم.

مما سبق يتبين أن السياق القرآني استثمر كثيرًا من الخصائص البلاغية كأداة التنبيه والتوكيد بـ (إن) وضمير الفصل وأسلوب القصر وتعريف لفظة السفهاء ، والتذييل بنفي العلم عنهم .

استثمر القرآن كل هذه الأساليب للكشف عن سفاهة هؤلاء وإظهارها لتتبين حقيقة أمرهم.

---

[١] راجع: الكشاف١/٦٤، البحر المحيط ١/١١٢ .

المطلب الثاني: في شأن تحويل القبلة

يقول الله تعالى:

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ ﴾

نزلت الآية في منكري تغيير القبلة من اليهود والمنافقين والمشركين وهو إرجاف وتشكيك في أمر العقيدة لزعزعة المخلصين من المؤمنين، وإعراضهم عن الدين الحنيف.

وطريقة الحوار بالسؤال والجواب من أنجح الطرق في إقناع الخصم بالحجة والبرهان.

السفهاء في الآية هم الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر، كما أن التصريح بذكرهم صراحة إظهار للوصف الذي استخفهم إلى هذا القول الظاهر عواره لأهل كل دين[١]، والتعريف بالألف واللام هنا للتصريح بذمهم وقبح قولهم وخفة عقولهم[٢].

وبعدما وصفهم بسفاهة العقل والإعراض عن النظر أكد الوصف بالطيش في قوله:(من الناس) تصريحًا بذمهم وتعميمًا لكل من ولاهم.

وإيثار كلمة(الناس) فيه توسيع لدائرة القائلين من المنافقين والمشركين واليهود.

ويشير أبو السعود إلى أن ذكر:(من الناس) لبيان أن ذلك القول لم يصدر عن كل فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن أشقيائهم المعتادين الخوض في فنون الفساد. وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضاءهم إياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقًا أو بالعبارة المحكية[٣].

وخص بقوله:(من الناس) لأن السفه أصله الخفة، يوصف به الجماد. قالوا: ثوب سفيه، أي خفيف النسج والهلهلة، ورمح سفيه: أي خفيف سريع النفوذ. ويوصف به الحيوانات غير الناس، فلو اقتصر، لاحتمل الناس وغيرهم، لأن القول ينسب إلى الناس حقيقة، وإلى غيرهم مجازا[٤].

ورده ابن عرفة بأنّ القول المسند إليه في الآية يخصصه بالحيوان، قال: " وإنما عادتهم يجيبون بأمرين: أحدهما أنه لو لم يذكر لاحتمل كون هذا القول من الجن وكان يكون(ضمير) الغيبة في

---

[١] نظم الدرر للبقاعي٢/٢٠١ .

[٢] تفسير البيضاوي١/١١٠ .

[٣] إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب العزيز ١/ ١٧١.

[٤] البحر المحيط في التفسير ت: أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت ط: ١٤٢٠ هـ . ٩/٢.

قوله: {مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبلَتِهِمْ} مرجحًا لهذا الاحتمال.

ويقال: لو كان من(الإنس) لقيل:(ما ولاهم عن قبلتكم) لحضورهم معهم، فقيل: {مِنَ النَّاسِ} لِيخرج الجن قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ (الناس: ٥).

الثاني: أنه (إشارة) إلى أنّ هذا القول صدر من رؤسائهم وأشرافهم ومن المنافقين الذين آمنوا ظاهرًا، أو من علماء اليهود ولم يصدر من العوام والجُهال بوجه وذلك على سبيل (النفي) عليهم والتبكيت لهم فكفر أي جهل ليس ككفر غيره" [١].

وذكر القيد هنا (من الناس) فيه زيادة تشنيع وقوة تبشيع من هؤلاء الذين كانت لهم وجاهة في قومهم وذكر في محيطهم، فلفظة (الناس) تشير إلى تلك المكانة إلا أنهم خرجوا منها بتلك الافتراءات الغريبة والتخرصات العجيبة .

الباعث على الاستفهام

والاستفهام في قوله:(**مَاوَلَّىٰهُمۡ**) استخفاف بالمسلمين وسخرية واستهزاء، ويلحظ فيه التشكيك في صحة الرسالة، وإحداث بلبلة في نفوس المسلمين، وصرفهم عن دينهم.

والاستفهام سيقع في المستقبل القريب بدليل وجود السين التي تفيد الاستقبال، وما ذلك إلاّ لأنَّ(الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه)[٢].

كما أُوثرت الكناية على التصريح في قوله (عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ)أي: بيت المقدس؛ لأن المقام عند اليهود مقام تشنيع على المسلمين .

الإيجاز في الردّ عليهم.

جاء الجواب مختصرًا مفحمًا لهم وأكثر إيجازًا في كلام مستأنف وهو من مقاصد القرآن الكريم، وذلك في قوله :(قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ) وهو" استئناف مبني على سؤال مقدر كأنه قيل: فماذا أقول عند ذلك؟ فقيل: قل..."[٣]فالجهات كلها لله عز وجل، والعبرة بتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وذلك لأن هؤلاء السفهاء تركوا النظر في الحقائق العظمي التي تدل على وحدانيته وقدرته ومعجزاته التي تُكتشفُ كل لحظة إلي أمور لا تُجدي ولا يترتب عليها منفعة، فجاء الجواب مُبكتًا لهم مبينًا خفة عقولهم وعملهم بغير دليل .

---

[١] تفسير ابن عرفة تح: د/ حسن المناعي مركز البحوث بالكلية الزيتونية– تونس ط: الأولى، ١٩٨٦م ٢/٤٤٩–٤٥٠.

[٢] الكشاف ١: ٣١٧.

[٣] إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب العزيز ١/ ١٧٠.

وفي الجواب أيضًا إعجاز كما كان في التعبير بالمستقبل، وإظهار المعجزة وتوطين للنفس، فالإخبار بالشيء قبل وقوعه معجز؛ لأنه من علم الغيب، وما أخبر به تعالي لا محالة واقع وعلى الرغم من أن الآية أخبرت أن من سينكر على النبي-ﷺ- والمؤمنين تحولهم إلي الكعبة إنما هو سفيه، فإن أولئك لم يردعهم الإخبار بتحقق تلك الصفة فيهم[1].

وفي قصر الصفة على الموصوف بطريق تقديم المسند على المسند إليه((لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ)) كناية عن كل الجهات، وأُوثرت دون غيرها لما لها من منزلة في حياة الناس، وهما مبدأ شروق الشمس وغروبها .

والاستعارة في قوله تعالى (يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) تصريحية حيث استعار الصراط وهو الطريق للدين فشبه الدين بالصراط في أن كلًا منهما يوصل إلي المطلوب وتحقق الشيء المرغوب، وقد كشفت الاستعارة عن أن هؤلاء السفهاء بمنأي عن تلك الهداية حين نكبوا عن المنهج السويّ.

حول الآيتين السابقتين :

يلحظ في الآيتين السابقتين تكفل ربنا تبارك وتعالي بالجواب والردّ عليهم وبيان حمقهم وخفة عقولهم، وأنهم هم السفهاء ولا أحد غيرهم؛ وذلك؛ لأن الأمر متعلق بأهل الإيمان، وهم في حاجة إلى تثبيت واستقرار، ومواجهة لأهل الشرك والطغيان، والمشركون يريدون زعزعتهم والتشكيك في إيمانهم، وإحداث بلبلة تهزهم من أعماق قلوبهم؛ لذا جاء موجزًا مختصرًا من جانب الملك ﷻ وتقدست أسماؤه.

وجاء الرد في قوله: (ألا إنهم هم السفهاء) بحشدٍ من المؤكدات تبين افتراء دعواهم، وخبث نواياهم؛ لأن الأمر يتعلق بالمؤمنين الضعفاء وإيمان السفهاء في نظرهم، فجلي ربنا تبارك وتعالي أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون، والعلم ضد الجهل، وهو من مستلزمات السفه الخفة .

أمّا عن الجواب في آية تحويل القبلة فأكثر إيجازًا وأقل تأكيدًا من الأولي؛ لأن هؤلاء السفهاء أعرضوا بالدليل والنظر عن التفكر في آيات الله الكونية، ومخلوقاته العجيبة الباهرة ودلائل وحدانيته إلى أمر لا يعود عليهم بشيء، فجاء الجواب بأن الجهات كلها لله يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم، وفيه نوع من التعريض بمعاندي أهل الكتاب، وما هم عليه من الضلال والافتراء .

****

[1] بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل د/ ظافر غرمان العمري مكتبة وهبة ط١ / ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ،١٥٣ .

المطلب الثالث: البعد عن الطريق المستقيم

في قول الله تعالي: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٣٠).

وردت الآية الكريمة في سياق التحذير من تنكب طريق الحق، والصدِّ عن ملة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

المعني الحوري للسفه هنا هو الخسران والضلال والهلاك مع وجود البراهين والحجج السواطع.

يلفت الشيخ الطاهر ابن عاشور– رحمه الله– إلي مسلك العطف بين هذه الآية وما قبلها قائلًا:" لمّا بيّن فضائل إبراهيم عليه السلام من قومه (وإذا ابتلي إبراهيم ربه بكلمات) علم أن صاحب هذه الفضائل لا يعدل عن دينه والاقتداء به إلا سفيه العقل أفن الرأي ، فعطفت بـ (الواو) دون (الفاء)؛ لتستقل بذاتها في تكميل التنويه بشأن إبراهيم عليه السلام وتعريض بالذين حادوا عن الدين الذي جاء متضمنًا لملة إبراهيم[١] .

والعطف بالواو دون الفاء للإشعار بأن مضمون هذه الآية لا مجال فيه للجدل أو مجرد التفكير، فملة إبراهيم هي الفطرة، والأصل ألا تُكره أو يُرغب عنها، ولو جاء هذا المعنى بالفاء لكان نتيجة لما قبله، وهو أنه لكون إبراهيم كذا وكذا فلا يُرغب عن ملته، وهذا أقل وأضعف مما حملته هذه الواو من الإشارة إلى تلك المُسَلَّمِة التي لا تحتمل الجدل ، ولذلك كان التعبير بالفعل (يرغب) وتعديته بحرف المجاوزة (عن) متسقًا تمام الاتساق مع التلويح بهذه المُسَلَّمِة ؛لأنه لما كانت الملة هي الفطرة أضحى مجرد الميل عنها شذوذًا، فسبحان من هذا كلامه.

بدأت الآية الكريمة باستفهام إنكاري استبعادي(وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ)؛ لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم، ولأن الإعراض عن ملة ابراهيم مع العلم بفضلها ووضوحها أمر منكر مستبعد، مقصود به التعريض بمعاندي أهل الكتاب[٢].

(والسفه) في الآية فيه ثلاثة تأويلات أحدها: أن ذلك سفّه نفسه، أي فَعَلَ بها من السفه ما صار به سفيهاً، وهذا قول الأخفش.

والثاني: أنها بمعنى سفه في نفسه، فحذف حرف الجر كما حذف من قوله تعالى:(وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ) أي: عَلَى عقدة النكاح، وهذا قول الزجَّاج.

---

[١] التحرير والتنوير ١/٧٢٤ .

[٢] الكشاف ١/ ١٨٩ ، والتحرير والتنوير ١/٧٢٤ .

والثالث: أنها بمعنى أهلك نفسه وأوْبَقَهَا، وهذا قول أبي عبيدة.[١].

وقرئ بالتشديد (سفَّه) أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر، ولم يعرف ما فيها من الدلائل، وهذا هو المراد من القراءة الأولى ؛ لأنه الأقرب لألفاظ الآية.

والاستثناء ترشيح للمعني الكنائي وهما الإنكار والاستفهام، وهنا يصح أن يكون استثناء من كلام دل عليه الاستفهام كأنَّ مُجيبًا أجاب السائل: لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه [٢].

وفي نصب(نفسه) إنباء بالحاق السفاهة فاستغرقت ذاته وكليته، وإنما استحق السفاهة (وَمَن يَرْغَبُ) لظهور شاهدها في العقل وعظيم بركتها في التجربة[٣].

فإيقاع التسفيه منه على نفسه ، فيه أن نفسه تأبى بالفطرة الخروج عن ملة إبراهيم – عليه السلام–؛ لأن هذه الملة فطرة الله، ثم هو يُرغمها على مخالفتها، فالسفه هنا جناية عظيمة في حق النفس!

وإيثار التعبير بأقوى طرق القصر(النفي والاستثناء) الذي يأتي في الأمور الحاسمة شديدة اللهجة للتأكيد على ضلالهم وخسرانهم حيث أعرضوا عن الطريق المستقيم ، والهداية إلى يوم الدين.

والتعبير بالفعل المضارع (يَرْغَبُ) يفيد استمرارية الحدوث والإعراض عن الحق، والتعريض بمعاندي أهل الكتاب في غوايتهم وضلالهم.

وإيثار التعبير بتسفيه النفس أبلغ من جهلها، والجهل هنا مركب؛ لأنه يعتقد في الحق أنه باطل، وفي الباطل أنه حق، والسفه أن يعتمد ذلك، ويتحرى بالفعل مقتضاها ما اعتقده، فبين الله تعالى أن من رغب عن ملة إبراهيم، فإن ذلك لسفهه نفسه، وذلك أعظم مذمة، فهو مبدأ لكل نقيصة[٤] .

والخسران الذى لحق هؤلاء من امتهانهم وسوء فعالهم وإعراضهم عن الحق الواضح والدليل الباهر في تلك التأكيدات التي تأتي من رب العزة تبارك وتعالي في الآيات السابقة حيث جعلناه صافيًا من الأدناس واصطفاؤه بالرسالة واتخاذ مقامه مُصلي وآذانه بالحج كل هذه حقائق واضحة ووشائج قوية تجعلهم يتبعون ملته، ويهتدون بهداه هذا في الدنيا، وعن الآخرة، فإنَّه من الصالحين فجمع له بين خيري الدنيا وثواب الآخرة.

والجملتان مؤكدتان الأولي باللام وقد، والثانية بـ (إن واللام واسمية الجملة)؛ لأنه إخبار عن أمر

---

[١] تفسير الماوردي النكت والعيون ١/ ١٩٣ .

[٢] السابق: ١/٧٢٤.

[٣] نظم الدرر ٢/١٦٣.

[٤] تفسير الراغب الاصفهاني١/ ٣١٧.

غيبي في الآخرة فاحتاج إلى مزيد تأكيد بخلاف حال الدنيا فإنه مشاهد ومنقول، وفي قوله: (وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا) فذكره بمظهر العظمة تعظيماً له، فإن العبد يشرف بشرف سيده، وتشريفاً لاصطفائه فإن الصنعة تجل بجلالة مبدعها {في الدنيا} بما ذكرناه من كريم المآثر التي يجمعها إسلامه؛ وهو افتعال من الصفوة وهي ما خلص من اللطيف عن كثيفه ومكدره، وفي صيغة الافتعال من الدلالة على التعمد والقصد ما يزيد فيما أشير إليه من الشرف [١].

وقوله تعالي: (وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) الواو للتوسط بين الكمالين وفي هذا أكبر تفخيم لرتبة الصلاح حيث جعله من المتصفين بها فهو حقيق بالإمامة لعلو رتبته عند الله في الدارين، وفي ذلك أعظم ترغيب في اتباع دينه والاهتداء بهديه، وأشد ذمًا لمن خالفه، وتذكير لأهل الكتاب بما عندهم من العلم أمر النبي الكريم -ﷺ- وما هو سبب له، وإقامة الحجة عليهم؛ لأن أكثر ذلك معطوف على قوله: (واذكروا) [٢].

ويلحظ في التعبير بالاستفهام هنا كما في الآيات السابقة في السورة نفسها حيث الإنكار والاستبعاد بعد وضوح الحق ودلائل صوره المتمثلة في فضائل واصطفاء الخليل سيدنا إبراهيم- عليه السلام- في الدنيا وصلاحه في الآخرة مما يؤكد على خلل في التفكير واضطراب الرؤية والضلال الذي أعمي أبصارهم وطمس قلوبهم ، وكل هذه التأكيدات تعريض بمعاندي أهل الكتاب الذين حادوا عن جادة الصواب .

****

[١] نظم الدرر:٢/١٦٣.

[٢] السابق: ٢/١٦٣.

المطلب الرابع: حوار سيدنا هود –ﷺ– مع قومه .

يقول الله تعالي: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأعراف٦٥: ٦٨).

الآية قبلها تتحدث عن قوم هود – ﷺ–(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ) وقد دعاهم بدعوة الأنبياء قبله(قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ) وترك ما هم عليه من الكفر والضلال والطغيان، فقال قوم سيدنا هود– ﷺ– في طيش وخفة وأفن رأي (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ) حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر.

المعني المحوري للسفاهة هنا تحمل اضطرابًا في الرأي والفكر، وتشكيكًا في صحة الرسالة وصفاء دعوتهم إلى الحق والرشاد.

وجعلت(السفاهة) ظرفًا على سبيل المجاز فكأن السفاهة متمكنة منه تشمله وتحوطه، وكأنه منغمس فيها.

وايثار التعبير(في سفاهة) دون التعبير بـ(إنا لنراك سفيهًا) يريد القوم أنه مغمور في السفاهة مغموس فيها لا يُنتظر منه رجاحة عقل ورشد، وهذا يشير إلى أن منهج الأقوام واحد في الافتراء على الرسل، كما يشير إلى مدى معاناة الرسل في تبليغ رسالات ربهم .

وهذا يتلاءم مع السياق العام لسورة الأعراف التي جاء في مفتتحها تسرية لرسول الله– ﷺ– الذي كان يضيق صدره لاتخاذ قومه موقفًا مناقضًا ومعاندًا ، يقول الله تعالي: ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ (الأعراف: ٢)

كما تضرب الآية الكريمة أروع الأمثلة في التلطف والتودد عند مخاطبة السفهاء، ومراعاة أحوالهم ، ويُعلل العلامة البقاعي– رحمه الله– وصف القوم لسيدنا هود –ﷺ– بـ (السفاهة)" إقدامه على ما يحتمل معه ظنهم لكذبه، أو يكون قوله غير الحق في زعمهم أن يكون قاله عن تعمد، أو حمله عليه ما رموه به من السفه من غير تأمل"[1].

وجاء قولهم محملًا بالتأكيد على وصفه بالسفه بجملة من المؤكدات حيث عبروا بـ (إنَّ) للتوكيد على سبيل الفخر والكبرياء والعلو، واللام الواقعة في جواب القسم، وكاف الخطاب لتدل على المجابهة والتحدي، وما يفيد التمكن والإحاطة عن طريق(في) الظرفية، فالسفاهة تحيط بك وتشملك تمكن الظرف من المظروف .

---

[1] نظم الدرر ٧/ ٤٣٦

والاضطراب في الفكر والرأي يؤدي إلى التمادي في الغي والضلال، حيث عطف على السفاهة جملة أخرى وهي أشد شناعة وفظاعة حيث نسبوا نبي الله هود –ﷺ– إلى الكذب والضلال عن طريق جملة من المؤكدات (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ) حيث التعبير بـ (إن) للتأكيد ودلالة على نغمة الفخر والاعتزاز وإجماع الرأي، واللام الواقعة في جواب القسم المحذوف، والظن هنا بمعني اليقين والاعتقاد الجازم بكذبه.

ومن الضلال والتيه الذي يعيشه القوم أن من حق الخصم في طرق المحاورات أن يعرض وجهة نظره مدللًا عليها، هذا من حقه، لكن عليه ألا يطلق أحكامًا في الخصومة؛ لأنه ليس حكمًا وخصمًا في وقت واحد، ولا أن يحكم على الطرفين فتفسد المحاورة .

والقوم سلكوا هذا المسلك فأصدروا أحكامًا في أمر لا شأن لهم به، فتراهم يذكرون ويكررون(لنراك– وما نري–وإنا لنظنك) تضليل عقلي وعدم التزام بالسير الصحيح.

وليس هذا فحسب يل جعلوا النتيجة في أسلوب الشك وكأنه اعتدال وعدم شطط، واستنتاج منطقي لمقدمات سبقتها، فتراهم يعبرون بالظن في مقام اليقين، فقولهم:(وإنا لنظنكم) في مقام اليقين (أنتم كاذبون) قصدًا منهم محاولة الظهور بمظهر الاعتدال ليكسبوا موقفهم في الخصومة شيئًا من قوة عقلية.

والقاعدة الأصولية تقول: متى تطرق الدليل إلى الاحتمال سقط به الاستدلال"[1]، ومعني هذا أن هؤلاء السفهاء– حقًا– يريدون زعزعة وتشكيك المسلمين في عقيدتهم وتضليلهم ومخالفتهم بتُهم باطلة فاسدة من بعيد حتي تسقط مشروعية الرسالة، وتشكيكهم في صدق الرسل الكرام بطرق بعيدة ملتوية، فهنا متى ثبت عليه الكذب انتفت عنه الرسالة وسقط أمر الدعوة، وما أمر تحويل القبلة عنا ببعيد، حيث سألوا عن أمر لا يعود عليه بجلب نفع ولا دفع مضرة، وتركوا المهمة الأولى وهي اتباع الحق والتفكر في وحدانية الخالق ودلائل قدرته.

تلك هي طريقتهم لا تتبدل في الصدِّ عن طريق الدعوة، وإحداث شغب وبلبلة تثير الرأي العام ضد المخلصين المصلحين.

بعد كل هذه الأوصاف والترهات التي ذكروها يأتي الرد من النبي الكريم سيدنا هود–ﷺ – مُعلمًا إياهم الأدب والرقي في الحوار.

---

[1] أنوار البروق في أنواء الفروق،ت: القرافي(ت: ٦٨٤هـ)عالم الكتب، بدون تاريخ،٢/٩٣، ١٠٠، والْمُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ (تحريرٌ لمسائِلِه ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً) ت:عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد– الرياض،ط١، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، ٤/ ١٥٤٢.

التلطف والأدب في مخاطبة السفهاء

جاء الجواب حاملًا كل معالم الأدب والتلطف في النداء، وكيف لا وهم تربية رب العباد، والنور الذي عم البلاد، فجاء جوابه- ﷺ- في نصح وعطف(يا قوم)فالنداء يحمل معاني التودد والملاطفة ولين الجانب وتذكيرهم برباط المحبة والأخوة والنسب الذي يربط الفرد بقومه وحرصه عليهم ومنافحته ضد من يخذلهم ويترصد بهم .

وفي جوابه-ﷺ- عما نُسب إليه من الضلال والسفاهة نفي عنه ظنهم بحسن أدب وخلق عظيم حيث قال:(لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ) في حلم وإغضاء، فبني الأسلوب على النفي(ليس) والظرفية الفرعية(بي)التي تدل على المصاحبة والملابسة، فنفي أن يكون به شيء من خفة حلم، وأفن رأي، فالسفاهة التي وصفتموني بها لا تتعلق بي لا من قريب ولا من بعيد، فلما انتفت السفاهة انتفي الكذب مباشرة؛ لأن الداعي إلى الكذب الخفة والطيش وهما من لوازم السفه فلم يحتج إلى تخصيصه بنفي.

ثم عطف عليها جملة (وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) تعظيمًا وتفخيمًا للمهمة العظمي من رب العباد وهي التوجيه والنصح بعد نعمة الإيجاد وبعث الحياة.

وهي من قصر القلب ردًا على قولهم:(إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ) فانهم يثبتون له السفاهة وينفون عنه الرسالة، فجاء القصر بنفي ما أثبتوه ويثبت ما نفوه.

والنظم القرآني يشع نورًا وبهاء وجلالًا حيث يربي في النفس ملكة مخاطبة السفهاء وترك الانتقام ، والتحلي بالتلطف وحسن الأدب.

ثم يفّرع من معني السفه الذي هو ضد الحلم والرزانة معبرًا عن مضمون الجملة المنفية(لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ)، ليُذّكر قومه بقوله: (وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) .

تأمل بعدما مكَّن المعني في قلب المتلقي بدأ في تشريف وتفخيم شأن ما أُرسل به، فترك الإغضاء عن السفاهة وأثبت ضدها، فقال:(أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) وقوله:(أُبَلِّغُكُمْ) فيه مزيد تشريف وتعظيم وبيان أمر التبليغ بالرسالة الخالدة وهي رسالة رب العباد.

وإيثار التعبير بضمير المتكلم واسم الفاعل وتقديم الجار والمجرور (وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) فيه دلالة على التشريف والتعظيم والافتخار والثبوت والدوام؛ لبيان مدى نصحه لقومه وثباته في دعوتهم للحق المبين والطريق المستقيم.

أتري هذه الآية تعلم الناس كيفية مخاطبة السفهاء وترك المقابلة بما قالوه، وتعضد هذه الآية آيات أخرى كثيرة تدل على أن الذكر الحكيم نسيج وحده، نظم بديع ، وسبك محكم، يُفصِّل في مواطن

ويُجمل في غيرها، أذكر منها قول الله عز وجل﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقول الله تعالي في وصف عباد الرحمن ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٣)، وقوله تعالي :﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الفرقان: ٧٢)، مما يؤكد على كراهة مجادلة السفهاء" فترك المقابلة والإغضاء عن السفهاء مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع، والسكوت عن السفيه واجب، ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها"[1].

ويلحظ أنَّ ردّ نبي الله هود -عليه السلام- خلا من المؤكدات على عكس ما جاء في اتهامهم من الافتراء والكذب والتضليل مما يدل على التثبت ودحض تلك الشبهه والافتراءات الآثمة في حلم ورزانة ورجاحة عقل، ودون أدني تأكيد مما أتعبتم فيه أنفسكم .

****

[1] التحرير والتنوير ٣/ ٢٩٠ .

المطلب الخامس: حوار سيدنا موسي –عليه السلام – مع قومه

يقول الله تعالي:_ ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ﴾ (الأعراف: ١٥٥).

حين واعد الله موسي لميقاته وتلقي أوامره ونواهيه أمره أن يصطحب معه سبعين رجلًا من شيوخ قومه الذين تجاوزوا سن الشباب والجهالة، وأن يصوموا ويتطهروا للقاء ربهم، ليسمعوا كلام الله لموسي عليه السلام، ويكونوا شهداء بما سمعوا عند قومهم، فسمعوا أوامر الله إلى موسي ونواهيه.

افعل ولا تفعل ولما انتهت المناجاة طلبوا من موسي–ﷺ– أن يروا – هم– الله جهرة، وإلا فلن يؤمنوا، فدعا موسي–ﷺ– ربه قائلا:(أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ) فسمع الرد وسمعه معه قومه(قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ) ولكن موسي أفاق بإذن الله، أمَّا الرجال السبعون فقد صُرعوا جميعًا ليكونوا عبرة لمن عداهم؛ لأنهم جعلوا رؤية الله جهرة شرطًا في بقائهم مؤمنين، فلما أفاق وتاب إلى ربه قال: (أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ) وهو استفهام قصد به الإنكار، ولكن المفسرين قالوا: إن الرسل لا ينكرون أمرًا ما قضاه الله عز وجل،[١] فذهب أبو حيان إلي أنه استفهام على سبيل الإدلاء بالحجة في صيغة استعطاف وتذلل"[٢]، وأبو السعود" يتوسط العبارة إذ يقول:" والهمزة إما لإنكار وقوع الإهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قال ابن الأنباري أو للاستعطاف كما قال المبرد "[٣]، ووافق ابن عاشور قول المفسرين" والاستفهام مستعمل في التفجع أي: أخشي ذلك؛ لأن القوم استحقوا العذاب، ويخشي أن يشمل عذاب الله من كان مع القوم المستحقين وإن لم يشاركهم في سبب العذاب"[٤] .

السفهاء في الآية هم عبدة العجل، والسَّفَه منصب على الرؤية أو عبادة العجل؛ لذا جاء التعبير بالفعل دون القول بخلاف الآيات التي سبق عرضها حيث ركزت على القول .

والآية من عطف القصة على القصة حيث عطفت على قوله تعالي(واتخذ قوم موسي) وهي من مواقع العبرة والعظة بعظمة الله ورحمته والتوقي من غضب الله وخوف بطشه [٥].

والاختيار ودعاء موسي– ﷺ– فيه جِماع الخير والبشارة، وفي الاختيار تمييز المرغوب من بين ما هو مخلوط من مرغوب وضده .

---

[١] التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم د / عبد العظيم المطعني ٤١١/١.

[٢] البحر المحيط ٤/ ٤٠٠.

[٣] تفسير أبي السعود ٢٧٦/٣.

[٤] التحرير والتنوير ١٢٦/٩.

[٥] السابق١٢٣/٩ .

وقوله:(سَبۡعِينَ رَجُلٗا) بدل من (قَوۡمَهُۥ) بعض من كل، وقيل النصب على حذف حرف الجر(من قومه)، وذكر القوم دون الاقتصار على السبعين من قومه مباشرة اقتضاه حال الإيجاز .

والمحو هنا أمارة غضب وتقدمة إهلاك عقوبة مع عبادتهم العجل، وسمي شركهم (سفهًا) لأنه شِرك مشوب بخسة عقل إذ جعلوه صورة صنعوها بأنفسهم إلهًا لهم .

وقد خشي موسي –ﷺ– أنَّ الله يهلك جميع القوم بتلك الرجفة؛ لأن سائر القوم أجدر بالإهلاك من السبعين [١].

ويجوز أن يكون (لو) حرف امتناع الامتناع ، والحذف هنا لتلازم بين الشرط وجوابه مع أن الغالب في جوابها الاقتران؛ ليدل على أن الإهلاك من فعل الله وحده، ويكون المعني اعترافًا بمنة العفو عنهم فيما سبق وتمهيدًا للتعريض بطلب العفو عنهم الآن.

"وجملة (أتهلكنا) مستأنفة على طريق تقطيع كلام الحزين الخائف السائل، وضمير(إن) راجع إلى ما فعل السفهاء، فليس الفتنة الحاصلة من عبادة العجل إلا فتنة منك من تقديرك وخلق أسباب حدوثها مثل سخافة عقول القوم وإعجابهم بأصنام الكنعاننين"[٢] .

وفي قوله تعالي: (إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ) قصر موصوف (هي) أي: الواقعة التي حدثت بالسبعين المختارين على صفة(ئِ)، وطريقه النفي والاستثناء ويستعمل في الأمور المهمة لتأكيد خطرها في النفوس، ثم الاعتراف بالانقطاع لعبادة الله وحده (أَنتَ وَلِيُّنَا) وهي تمهيد لطلب المغفرة؛ لأن شأن الولي أن يرحم مولاه وينصره، والفاء في قوله تعالي: (فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ) لتفريغ كلام على كلام، وتقديم المغفرة على الرحمة؛ لأن المغفرة سبب لرحمات كثيرة، وهي من باب تقديم التخلية (محو الذنوب) على التحلية (حلول رحمة الله)" [٣].

وقوله تعالي: (وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ) معطوف على(فاغفر) عطف على الدعاء؛ لأن الزيادة في المغفرة من آثار الرحمة، وهو تذييل مقرر لما تضمنه الكلام قبله" [٤].

تأمل المزواجة بين الخبر والإنشاء يحدث اتزانًا بين الجمل، بين انفعال وتوتر، ثم هدوء وترقب وحذر مع دعاء وخوف من الجليل خشية العقوبة والإهلاك لما حدث من هؤلاء السبعين من قوم سيدنا موسي– عليه السلام–.

****

---

[١] التحرير والتنوير ١٢٦/٩ .

[٢] السابق ١٢٦/٩ .

[٣] التحرير والتنوير ١٢٧/٩.

[٤] التفسير البلاغي للإستفهام في القرآن الكريم ١/ ٤١٦.

المطلب السادس :

حوار الجن وسماع الذكر الحكيم

يقول المولي تبارك وتعالي: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ﴾ (الجن:٤).

سورة الجن مكية نزلت تعالج أصول العقيدة الإسلامية كالبعث والجزاء وعرض قضية التوحيد وبيان طريق الخير والشر، وهذا شأن السور المكية، حيث أبطلت ما يعبده الجن وما يعتقدوه من إبطال الكهانة وبلوغهم الغيب واستراقهم السمع.

والمعني المحوري الذي يدور حوله السفاهة هو الضلال والتيه الذي لحق بالجن قبل سماع القرآن الكريم، وما تعلموه من زعميهم إبليس–عليه لعنة الله–حيث كان يلقنهم ما لايليق بجلال المولى تبارك وتعالي.

ومما يؤكد معني الضلال والتيه من قِبل الجن أن ورد في مفتتح السورة المباركة (يهدي إلى الرشد) فالقرآن الكريم دليل هداية ورشاد ومنقذ البشرية من الضلال.

والآية محور الحديث صدرت لبيان كذب إبليس عليه لعنة الله، وشططه وعتوه ومجاوزة الحد .

وكان الجن يعتقد أن الأنس والجن لا يتصور منهم الكذب على الله تعالي، "وكانوا يحسبون أن إبليس صادق فيما يدعو بنو آدم إليه من صنوف الكفر، فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذبًا في كل ذلك"[1]؛ ولذا جاء التوكيد بـ (أن) مع ضمير الشأن في معظم الآيات؛ لإعطاء دلالات متعددة من شأنها تأكيد الخبر بكل صوره من غرابة الخبر، أو تفخيم وتعظيم، أو تنزيه مطلق للملك جل وعلا، أو تأكيد وإقامة الحجة على المشركين والتعريض بحالهم إلى غير ذلك من المعاني.

ورأس السفهاء وقائد حركتهم إبليس عليه لعنة الله والناس أجمعين صدر في السفاهة حين سأل عن أمر لا يخصه ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (الأعراف: ١٢) ، فخرج من جنة الملك وبعدما كان من المقربين سار في أسفل سافلين، فدعاه ذلك إلي الافتراء والكذب على رب العزة جل وعلا تقدست أسماؤه وجلت صفاته حين نسب إليه الولد والصاحبة ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴾ فنفت الجن ذلك حين سماع القرآن الكريم، وكان اعتقادهم الجازم أن الإنس والجن لا يكذبون وخصوصًا الكذب عليه ﷻ حين قالوا ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فورد التوكيد بـ (أن) في هذه الآية مع ضمير الشأن، أي أن إبليس– عليه اللعنة– كان يقول على الله – عز وجل– قولًا يتجاوز فيه الحد، ويدعي أن له صاحبة وولدا، فجاء التوكيد لهذا الخبر؛ لأنه

---

[1] تفسير الطبري ٢٣/٦٥٤.

سبق إلى فريق من الجن يعتقدون خلاف ذلك، كما ورد في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ أمَّا عن ضمير الشأن فجاء للتأكيد على عظم هذا التجاوز ونكارته[١].

والإضافة في (سفيهنا)؛ لأنه كان معلومًا لديهم، وكانوا يعتقدون أنه لا يكذب على الله تعالى، والإضافة هنا لتخصيصه بمزيد من التحقير، فلا أحد منا قال هذا غير السفيه المنسوب إلينا.

وجاء التأكيد على اعتذار الجن عن إشراكهم بالله تعالي في قوله تعالي:﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾، وجاء في مطلع السورة المباركة﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ وذلك عند سماع القرآن الكريم من رسول الله – ﷺ–.

فجاء اعتذارهم عن تصديقهم لهم بتأبيد النفي(وَلَن نُّشْرِكَ – لَّن نَقُولَ) دلالة على أنهم متوغلون في حسن ظنهم بمن أضلوهم[٢].

والشطط هو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، فالقول هو في نفسه شطط، أي: نسبة الصاحبة والولد إلى الله تعالي .

فالشطط هو مجاوزة الحد في النفي تفضي إلى التعطيل وفي الإثبات تفضي إلى التشبيه، وإثبات الشريك والصاحبة والولد وكلا الأمرين شطط ومذموم[٣].

وتقديم لفظ الجلالة (على الله)على المفعول (شططا) أفاد التعجب أن يقال على الله شططا لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال وأن الأمر قد يجوز على غيره، أما هو فهذا عين الاستغراب؛ ولذا قدم لفظ الجلالة[٤].

وجاءت الفاصلة(شططا) لتأكيد معني المبالغة واستعظامًا لهذا التقول الكذب من زعيم الجن .

****

---

[١] التحرير والتنوير ٢٢٣/٢٩.

[٢] السابق ٢٢٤/٢٩.

[٣] مفاتيح الغيب للرازي ٦٦٧/٣٠.

[٤] دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية د/ منير محمود المسيري ، تقديم د/ عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة –القاهرةط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ٦٧١.

المبحث الثاني:

التعبير عن السفاهة في سياقات المعاملات المالية والرزق

المطلب الأول: السفيه لا يحسن تدبير أموره

يقول الله تعالي:﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

السفيه في هذا السياق على حقيقته ، وهو الذي لا يُحسن تدبير أموره، ويلحظ أنه ورد في المرتبة الأولى قبل الضعيف وقبل الذي لا يستطيع الإملاء ، وقد أبان الأستاذ الدكتور/ سعيد جمعة عن سر هذا الترتيب قائلًا: وجه الترتيب في الأصناف الثلاثة: أشد الناس حاجة إلى وليّ ليقوم عنه بالإملاء هو السفيه؛ لأنه مختل العقل، لا يُحكم الأشياء .

ثم يأتي الضعيف، وهو الذي يملك قوة لكنها ضعيفة؛ إمَّا لصغر سِن، أو لكبر سِن، أو لقلة تجربة في الحياة، وهذا يلي السفيه في حاجته إلى من يُملي عنه.

أمَّا الأخير فهو: "الذي لا يستطيع أن يُمل هو..."؛ويقصد به الذي لا يملك الصيغة المثلى، أو الأسلوب الأمثل في العقود، مع امتلاكه لمقومات العقل والقوة .

وإذا تأملت صيغة الجملة وجدت الصنف الأخير صيغ في جملة فعلية، مع أن الصنفين الأولين جاءا في صورة الاسم –" السفيه ، والضعيف"، أما الأخير فقيل:" أو لا يستطيع أن يمل هو"، وكان يمكن أن يقال:" أو غير مستطيع " .

ووجه ذلك، الإشارة إلى أن عدم استطاعته ليست على الدوام؛ لأنها عارضة، وطارئة، فلما كانت غير ثابتة، عُدل بها عن الاسم إلى الفعل[1].

وعلى هذا فالتعبير بالاسم(السفيه) فيه إشارة إلى تمييز الموصوف واشتهاره بهذه الصفة بين الناس، فسفهه معلوم، والولاية عليه واجبة، بل هي بترتيب الآية أوجب من ولاية غيره، ولعل في هذا إشارة إلى أن التعبير بالسفه في حق المنافقين أو المشركين في القرآن الكريم يشتمل على تعريض باستحقاقهم الولاية، وأن السفه في المعاملات كالسفه في العقيدة، والله أعلم.

******

[1] البلاغة العالية في آية المداينة أد/ سعيد جمعة .

المطلب الثاني

النهي عن إيتاء السفهاء المال

يقول الله تعالي: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (النساء : ٤).

المحافظة على الأموال من المقاصد العظمي لسورة النساء وهو تحقيق مبدأ عام للتوارث بين الرجال والنساء وتوزيع الأنصبة حسب شرع الله، وهناك آيات كثيرة دعمت هذا المقصد، ومن ذلك قول الله تعالي ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾، وقوله تعالي:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ (النساء:٧، ١١).

كما تلفت السورة الكريمة إلى بناء المجتمع على أساس التكافل والتناصح بين أفراده فيلطف الكبير بالصغير واليتيم؛ لشدة ضعفهم وقلة حيلتهم، ويؤكد هذا قوله جل ثناؤه: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء: ٩).

المعني المحوري الذي تدور حوله السفاهة هو خفة العقل وعجزهم عن حفظ المال وهذه علة مؤقتة، سوء التصرف في المال، والخطاب للأولياء؛ حيث أضاف الأموال إليهم؛ لأنها من جنس ما يُقيم به الناس معايشهم .

واختلف المفسرون حول المقصود بالسفهاء فمنهم من قال: نزلت في ولد الرجل الصغار وامرأته ومنهم من قال: نزلت في المحجورين من السفهاء، وقال مجاهد: نزلت في النساء خاصة ، وقال غيرهم: نزلت في كل من اقتضي الصفة التي شرط الله من السفه كان من كان [١].

وصُدرت الآية الكريمة بأسلوب النهي(ولا تؤتوا) وهو نهي للأولياء عن إعطاء المال لمن لا يحفظه ويُحسن التصرف فيه؛ لأنه مال المجتمع، والغرض من النهي الوجوب والحث والإرشاد.

واللام التي في(السفهاء) للعهد يجوز أن يراد بها(اليتامي)؛ لأن الصغر هو حالة السفه الغالبة فيكون مقابلًا (وآتوا اليتامى) لبيان الفرق بين الإيتاء بمعني الحفظ والإيتاء بمعني التمكين، ويكون العدول عن التعبير عنهم باليتامي إلى التعبير بالسفهاء؛ لبيان علة المنع، وسماهم سفهاء؛ استخفافًا بعقولهم واستهجانًا لجعلهم قوامًا على أنفسهم[٢].

---

[١] جامع البيان للطبري٧/ ٥٦٠-٥٦٣.

[٢] تفسير البيضاوي ٢/ ٦٠ ، والتحرير والتنوير ٤/ ٣٣٤ .

وإذا صح هذا فإن الألف واللام للعهد الكنائي أو اليتامي المعهود فيهم السفه خاصة.
وإيثار التعبير بـ(أموالكم) دون(أموالهم)؛ لأن المال ليس على الملكية، بل على حسن التصرف والتدبير والسعي والحفاظ على المال مخافة أن يضيع أو يهلك.
والتعبير باسم الموصول (التي جعل الله لكم) وجملة الصلة؛ ليوضح علة النهي في بداية الآية من أن هذا المال وُضِع أمانة في أعناقهم فينبغي صرفها فيما يعود بالنفع عليهم .
وللتأكيد والمحافظة على هذا المال جعله(قِيامًا)عليه للمبالغة، وقرئ (قِوامًا) أي تقومون وتنتعشون، وحرصًا على اكتمال النصح وتمام التوجيه أعقب الأمر بالنهي زيادة في التنبيه والحرص وبيان المحافظة عليهم في الإنفاق والعطاء دون تبذير أو إفراط.
وتتابع أفعال الأمر في قوله:(ارزقوهم– اكسوهم– قولًا معروفًا) للإرشاد والتوجيه وأخذ الحيطة وتحرى الدقة في إنفاق الأموال فيما ينبغي.
" والاحتراس بديع حقًا في الرزق والكسوة، أي: لا تؤتوهم الأموال ايتاء تصرف مطلق ولكن آتوهم بمقدار انتفاعهم من نفقة أو كسوة "[1].
والتعبير بـ (في) الظرفية وعاء وشمول وإحاطة لاستمرارية رزقهم،" بحيث تكون نفقاتهم من الأرباح لا من صلب المال فيأكلها الإنفاق"[2]؛ لحاجة اليتامي الطويلة للمال، ووجوب المحافظة عليه، والاستعارة التبعية تكمن في جعل الأموال مكانًا لرزقهم، فالضمير عائد على الأموال التي تحيط بهم وتسترهم من ذل الحاجة.
ومجيء التنكير في قوله:(قيامًا– قولًا معروفًا)؛ لتقريرها في الذهن، والنصب على أنها حال من العائد المحذوف أي: خلقها وأوجدها حال كونها قيامًا، والوصف المقيد في النكرة الثانية إشارة إلى أن هذا القول قد تعارفتم عليه وسكنت النفوس به وأحبته؛ لحسنه عقلًا وشرعًا حتي صار معروفًا لديكم لما فيه من تطييب النفوس وجبر الخواطر .
وفي قوله:(قِيامًا) مجاز مرسل علاقته المسببية" فالمال سبب للقيام والاستقلال على سبيل المبالغة ففي المال قيامكم وابتغاء معاشكم" [3].
وترتيب المعاني في الذهن أمر يأخذ بالألباب ويريح القلوب، فالتعبير بأسلوب الأمر الهادئ وقبله بأسلوب النهي مناسب في مثل هذه المواقف التعليمية التي تتضمن إرشادًا ونصحًا وتعظيمًا، ويلحظ

---

[1] التحرير والتنوير ٤/ ٢٣٦ .
[2] الكشاف ٤٧٣/١.
[3] مفاتيح الغيب المسمي بـ التفسير الكبير للرازي ٤٦٩/٩.

أنَّ النظم القرآني يؤكد على القيم الاقتصادية حيث جمع في الآية أهم مقومات الحياة(الرزق والكسوة)، ثم مراعاة الحالة النفسية لهؤلاء الضعفاء المحتاجين بالقول الجميل وحسن الصنيع، فسياق الآية الكريمة يعالج موقفًا اجتماعيًا يحث بالمحافظة على أموال الآخرين وتنميته.

حول الآيتين السابقتين:

يلحظ من أول وهلة المحافظة على المال بشتي الطرق، ففي آية البقرة أمر للمؤمنين بفرضية الكتابة، والشروط الصارمة في تحقق هذا الواجب وهو كتابة الدَّين والإملاء والإشهاد عليه بغية الترغيب في حفظ المال .

كما أن فعل الأمر بكتابة الدين(فاكتبوه) يعانق أسلوب النهي والتحذير في المحافظة على أموال السفهاء في آية النساء(ولا تؤتوا السفهاء)، فالأمر بالمحافظة على الحقوق ممتد حتي النهاية مع السفهاء إن كانوا لا يحسنون التصرف والتحكم في هذه الأموال التي هي قوام حياتهم وبها مستقبلهم.

كما روعي في الآيتين عدم التصرف في مال السفيه إلى أن يرشد يحسن التصرف، وكذلك بإثبات الولاية عليه، وهو ما وجهت إليه آية المداينة، فتكاتفا في ضرورة المحافظة على المال وحسن التصرف فيه .

ويعانق الأمر بالكتابة– أيضًا– وإن كان للوجوب، وتراه في آية النساء للحث والإرشاد وحسن التوجيه في الحفاظ على أموال من لا يحسنون التصرف والاضطراب في أمور الحياة، تأمل قوله تعالي:(فارزقوهم–واكسوهم– وقولوا).

كما روعي في الآيتين– محور الحديث– الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية الدائرة في حياة الناس، والقرآن الكريم ينظم تلك الجوانب ويضع الضوابط التي تنظم للإنسان حياته، وبها تكون نجاته.

****

المطلب الثالث

سوء التصرف مع الرزق (الأولاد)

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (الأنعام: ١٤٠) .

مما يُذكر أن الآية الكريمة نزلت في ربيعة ومضر حيث كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر، فذم القرآن الكريم فعالهم ، وسوء نواياهم[1].

وردت الآية الكريمة نتيجة لمقدمات سبقتها في بيان سفاهة القوم وطيشهم وحمقهم وتعمد المشركين الكذب على الله تعالي.

هؤلاء المشركون بزعمهم الفاسد المضلل زُين لهم سوء فعالهم أن قسموا قسمة جائرة فجعلوا مما خلق من الأنعام والحرث نصيبًا لله ونصيبًا لآلهتهم، وكذلك الحرث والأنعام، فجعلوا لنفسهم صلاحية بإعطاء ما ليس من حقهم لأصنامهم، وليس هذا فحسب فإذا انتقص شيئًا من نصيب أصنامهم أخذوا ما لله وأعطوه لأصنامهم بحجة أن الله غني عن هذا، أمَّا الأصنام فمحتاجة، وهذا غاية السفه والضلال .

والمعني المحوري الذي تدور حوله(السفاهة) هو الطيش والجهل بالمستقبل والخوف منه، وتلك السفاهة تولدت من عدم العلم، والجهل أعظم المنكرات، ويلحظ أن هذه التي يصرح فيها بما يضاد السَّفه (بغير علم) فالدافع هو الجهل، وخفة العقل، كما ورد في مفتتح سورة البقرة وحديث القرآن عن السفهاء الذين يستهزؤن بالمؤمنين، فتكفل رب العزة ﷻ بالرد عليهم﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٨) .

ويلحظ أن التعبير بـ(السفاهة) ورد بالفعل دون القول، وهو فعل شنيع وفظيع حيث الإقدام على إزهاق روح بدون وجه حق، وجهلهم بأنَّ الله تعالي هو رازق أولادهم ورازقهم.

والسفاهة خفة وطيش ترتب عليها القتل خوفًا من الفقر، حيث يقول المولي تبارك وتعالي في آية أخرى محذرًا إياهم﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣١) ، إلا أنَّ القتل أعظم من الفقر الموهوم، والشبح المزيف، وهذا موجب لأعظم أنواع العقاب.

وحفلت الآية الكريمة بحشد كثيف من التأكيدات وتشنيع وتقبيح لتلك الأفعال المذمومة التي

---

[1] الكشاف ٢/ ٧٢، وتفسير أبي السعود ٣/ ١٩٢.

يحذر الإسلام منها منذ القِدم، كما أنَّ قتل الأولاد مخافة السبي والإقتار والخوف من السباء كان في فئة دون أخرى، فبعضهم كان لا يفعله، مما دعي بعض العقلاء المراجيح أنَّ يتكفلوا بتربية البنات حيث كان يذهب إلى أبيها ويقول له: أنا أكفيكها ولا يقتلها.

وتصدير الآية الكريمة بحرف التحقيق فهي واقعة في جواب القسم دلالة على شناعة فعلهم وقبح صنيعهم ولحوق الخسران بهم في الدنيا والآخرة .

"والوصف بالخسران يكون في الربح والتجارة، وخسرانه في هذه الحالة جاء على عكس ما تعب لأجله وجاهد في تحصيله طلبًا للنفع والتخلص من أضرار الدنيا فوقع في الخسران في الدنيا والعقاب الأليم في الآخرة؛ لأن الولد نعمة عظيمة ومنَّة الله على عبيده"[١]، فإذا سعي في إزهاقها فقد خسر الدنيا والآخرة، يقول -ﷺ-: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» [٢]؛ لأنه بنيان الله في الأرض وملعون من هدم بنيان الله .

والتعبير باسم الموصول يفيد بأنهم جديرون بما يُنسب إليهم من أوصاف، وقرئ (قتَّلوا) بالتضعيف، لكن الشيخ الطاهر يري" أنّ التضعيف لا فائدة مرجوة من وراءه ؛ لأن تسليط الفعل على الأولاد يفيد أنّه قتل فظيع" [٣].

"وقوله (سفهًا بغير علم) متعلق بـ (قتلوا) علة له لخفة عقولهم وجهلهم بأنَّ الله هو الرازق لهم ولأولادهم، أو في موضع النصب على الحال أو المصدر حالة كونهم خفاف العقول سفهاء الأفعال والأقوال.

والتصريح بلفظ الجلالة(على الله)لإظهار كمال عتوهم وطغيانهم وفجورهم وتبجحهم، والتحقيق وماضوية الفعل(قد ضلوا)استئناف ابتدائي لزيادة النداء على تحقق ضلالهم، وقوله تعالي:(وما كانوا مهتدين) معطوف على ما قبلها(قد ضلوا) لتأكيد مضمونها وتقرير معناها، وبيان مساويهم، و(كان) زائدة لتحقيق النفي والمراد (وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ)" [٤].

ومما يؤكد على أن السفاهة قائمة على الجهل بالمستقبل ذكر آيات تنهي عن القتل يقول الله تعالي:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ، ويؤكد على نهي قتل النفس

---

[١] التحرير والتنوير: ٨/ ١١٣.

[٢] سنن الترمذي: (ت: ٢٧٩هـ) تح: أحمد محمد شاكر وآخرين ط: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٤/ ١٦.

[٣] التحرير والتنوير:٨ أ / ١١٥.

[٤] السابق: ٨ أ / ١١٥.

إلا بالحق حيث يقول الله تعالي:(وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥١)، وهذا يرتد إلى الآية محل الدراسة :(وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ) حيث كان الكفرة يذبحون بغير اسم الله، وهذا قتل غير مشروع ﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ١٣٨).

هكذا يقرر القرآن الكريم القضايا ويناقشها ويؤصلها بموضوعية شديدة، حفاظًا على النسل، والنفس عمومًا، وتلك سماحة الإسلام في الحفاظ على المبادئ والقيم التي يرسخها في المجتمعات؛ لتنهض وتستمر.

والملاحظ أن سورة الأنعام من بدايتها تقرر حقيقة مهمة أن الذين كفروا يسوون أصنامهم بخالقهم، ويهبون لهم ما لا يملكون، ويعطونهم ما لايستحقون، وهذا أعظم الافتراء وطريق إلى سخط الله تبارك وتعالي.

والسورة المباركة قائمة على الافتراء والكذب من المشركين من بدايتها لنهايتها،حيث التكذيب بالحق ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ، وبيان عاقبتهم في قوله تعالي:﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ خَسِرُوٓاْ ﴾ ، وفي قوله تعالي:﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا خَسِرُوٓاْ ﴾ (الأنعام:٥، ١١، ١٤)،﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الأنعام: ٤٠) ، بطريق الاستفهام القائم على الإنكار والتعجب، يقصد عبادة غير الله من الأصنام وغيرهم.

ثم التأكيد على هذه الخسارة كما في الآية التي معنا﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ ﴾ فلها نظائر تبين خسارتهم وسوء منقلبهم بنفس الختام في آيتي(١٢، ٢٠)﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

وبنفس المؤكدات﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (الأنعام: ٣١)، تجد قوله تعالي: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ ﴾ ، والعدول والكذب في قوله تعالي :﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٠)، كما ورد في مطلع السورة الكريمة ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾.

كل هذا يؤكد جرائم المشركين في تأكيد كذبهم وافترائهم على الله تعالي في أمور كثيرة من صميم العقيدة والتوحيد المطلق لله تبارك وتعالي.

كما يلحظ اقتران السفاهة بالجهل والخسران والافتراء على الله تعالي، والسلوك الشاذ في التعامل مع الرزق على عمومه .

****

الخاتمة

- الحديث عن السفاهة جمعت بين الكليات الخمس التي جاء الإسلام لحفظها، وهي(الدِّين– والنسل – والعقل – والنفس – والمال).
- السفاهة جاءت في معظم المواطن للتعريض بمعاندي أهل الكتاب كما جاء في آية تحويل القبلة، وكذلك في خسران وسفه من رغب عن ملة إبراهيم عليه السلام مع بقاء الحجة ووضوح الدليل، كما ورد التعريض بحال المشركين لتعميق غرض المبالغة حين تحدث القرآن الكريم عن سفاهة إبليس– لعنه الله تعالي– حين كذب على الله تعالي ومجاوزاته الحد في الشطط في سورة الجن .
- لا فرق بين إبليس واليهود فهم مشتركون في الوصف، فالجن وصفت إبليس بالسفه ، وسمي الله اليهود بالسفهاء.
- السفاهة قولًا وفعلًا وردت في القرآن الكريم صراحة.
- يعلمنا القرآن الكريم عبر التاريخ كيفية مخاطبة السفهاء والتلطف والأدب في محاوراتهم.
- الإيجاز من أهم مقاصد القرآن الكريم في الرد على السفهاء، ويلحظ أن الجانب الثاني في المحاورة يكون أكثر إيجازًا واختصارًا.
- تكفل رب العزة في الرد على سفاهة عقولهم في موطن واحد، فقلب عليهم اعتقادهم؛ لأن من يُعرض عن الدليل ويترك الحجج والبراهين فهو أسفه الناس.
- اعتمد القرآن الكريم في خطاب السفهاء على بعض خصائص النظم، وعلى رأسها أسلوب الاستفهام فهو أنجع الطرق في إثراء الحوار والكشف عن خباياهم وسوء مطاياهم، حيث ورد في أربعة مواضع [1].
- كما ورد أسلوب القصر بضمير الفصل﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ ، وطريق التقديم في ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ ﴾ وطريق النفي والاستثناء في تأكيد الحقيقة وترسيخها كما في قوله: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ يتداخل في الآيات للتأكيد والمبالغة في إثبات الحجة عليهم بالبرهان والدليل، وكشف أسرارهم النفسية، ومعتقدهم الفاسد.

والحمد لله رب العالمين ،،،

****

[1] ثلاثة في سورة البقرة ، وواحدة في الأعراف ينظر البحث :١٠، ١٤، ١٧، ٢٦.

ثبت المصادر والمراجع

- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم د/ عبد الحليم حفني الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط الثالثة،١٩٩٥م.
- إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم ت: أبو السعود العمادي (ت: ٩٨٢هـ) ،دار إحياء التراث.
- أنوار البروق في أنواء الفروق، ت: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي(ت: ٦٨٤هـ) عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ت: ناصر الدين البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت ط: الأولى– ١٤١٨ هـ –١٩٩٧م.
- بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل د/ ظافر غرمان العمري مكتبة وهبة ، ط١ / ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.
- البحر المحيط في التفسيرت: أبو حيان الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ) تح: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت–١٩٩٩م ١٤٢٠هـ.
- البلاغة العالية في آية المداينة د/ سعيد جمعة بحث منشور في كلية
- التفسير البلاغي للإستفهام في القرآن الكريم د/ عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة ط٢–٢٠١١م –١٤٣٢هـ.
- التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) للفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي– بيروت ط: الثالثة – ١٩٩٩م ١٤٢٠هـ.
- تفسير ابن عرفة ت: محمد بن محمد ابن عرفة التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: ٨٠٣هـ) تح: د. حسن المناعي مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس ط: الأولى، ١٩٨٦م ٢/٤٤٩–٤٥٠.
- التحرير والتنوير ت:محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر– تونس ١٩٨٤هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، ت: محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) تح:الشيخ/أحمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط:الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م
- جمهرة أشعار العرب ت: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: ١٧٠هـ)تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية د/ محمد إبراهيم عبد العزيز شادي، دار اليقين– المنصورة ط الأولى، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

• دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية د/ منير محمود المسيري، تقديم د/عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة– القاهرة ط١، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.
• سنن الترمذي: (ت: ٢٧٩هـ) تح: أحمد محمد شاكر وآخرين ط: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
• شرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي(ت: ٧١٥هـ) تح: د/عبد المقصود محمد: مكتبة الثقافة الدينية ط: الأولي،١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.
• العين للخليل(ت: ١٧٠هـ) تح: د/مهدي المخزومي، د / إبراهيم السامرائي مكتبة الهلال.
• الكامل في اللغة والأدب للمبرد(ت: ٢٨٥هـ) تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي– القاهرة ط: الثالثة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م.
• الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي– بيروت ط: الثالثة– ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م.
•المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي(ت: ٥٤٢هـ) تح: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى– ١٤٢٢ هـ–٢٠٠١م.
• مجمل اللغة لابن فارس(ت: ٣٩٥هـ) تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة– بيروت ط الثانية–١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.
• المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/ محمد حسن جبل– مكتبة الآداب، ط الأولي، ٢٠١٠م.
• مقاييس اللغة لابن فارس تح:أ/ عبد السلام محمد هارون: دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
• الْمُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ (تحريرٌ لمسائِلِه ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً) ت: عبد الكريم بن علي بن محمد النملة مكتبة الرشد – الرياض ، ط الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م
• نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
• النكت والعيون ت: أبو الحسن علي بن محمد ، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
• الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي(ت: ٤٦٨هـ) تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون:دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ط: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضوع	الصفحة
١	ملخص البحث	١١٣
٢	المقدمة	١١٤
٣	التمهيد	١١٦
٤	المبحث الأول: التعبير عن السفاهة في سياقات العقيدة .	١١٨
٥	المبحث الثاني: التعبير عن السفاهة في سياقات المعاملات المالية والرزق .	١٣٦
٦	الخاتمة	١٤٣
٧	ثبت المصادر والمراجع	١٤٤
٨	فهرس الموضوعات	١٤٦